المحاضرة السادسة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند العرب (ابن خلدون) الجزء الثاني

عناصر المحاضرة:

1- القواعد المنهجية القسم الوصفي الإيجابي.

2- خواص ظواهر الاجتماع الإنساني.

3- الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

4- قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني.

5- دراساته السياسية.

6- دراساته الاجتماعية الأخرى.

7- نقد آراء ابن خلدون.

أهداف المحاضرة:

1- تفسير القواعد المنهجية عند ابن خلدون.

2- وصف ظواهر الاجتماع الإنساني.

3- تحليل الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

4- شرح قانون الأطوار الثلاثة.

5- نقد آراء ابن خلدون.

وظيفة علم الاجتماع

هي الكشف عن القوانين التي تسير وفقا للظواهر العمرانية في نشأتها وتطورها والوظائف التي تؤديها.

وللوصول إلى هذه الغايات النظرية، اتبع ابن خلدون في بحوثه ودراساته منهجا مختلفا لمناهج سابقيه، قائما على دعائم من:

- الملاحظة والتجربة الشخصية.
- والمنطق العلمي.
- واستقراء الحوادث.
- التحليل.
- والمقارنة.

hadeel alnafea

ومنهج ابن خلدون ينقسم إلى قسمين وهما:-

- القسم الأول نقدي سلبي: وهو القسم الذى يعرض فيه أخطاء من سبقه من المؤرخين ويطلب فيه تجريد عقل الباحث أو المؤرخ من هذا الأخطاء.
- والقسم الثاني وصفي تحليلي أو ايجابي: ويقوم على إتباع الأسس المنهجية التي ترشد الباحث في الوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

ولا يستقيم التاريخ ولا يستقيم الفكر في شؤون العمران إلا إذا تخلصنا من آثار هذه الأخطاء وجردنا العقل من شوائبها.

وهذا القسم النقدي مهم جداً للمؤرخ وعالم الاجتماع على السواء.

وقد كان ابن خلدون موفقاً في تقرير هذه الأخطاء، فقد دلّ تحليله على عقلية دقيقة، وعلى أننا أمام مدرسة جديدة في البحث والدراسة.

ابن خلدون

بعد أن يحدثنا ابن خلدون عن الأخطاء المشار إليها بالقسم الأول وهو القسم النقدي ينتقل بنا إلى القواعد المنهجية التي تكون القسم الثاني الايجابي عن منهجه واليك أهم هذه القواعد:-

أولاً: يجب الاعتماد على الملاحظة المباشرة وما تؤدى إليه التجربة.

ثانياً: يجب تفسير الظواهر وتحليلها واستخدام منطق التعليل.

ثالثاً: يجب الاعتماد على منطق المقارنة أو منهج البحث المقارن.

رابعاً: يجب قياس الأخبار على أصول العادة وطبائع العمران فلا يصح أن نأخذ الحوادث والأخبار كما تلقى علينا بل يجب أن ننظر هل هي ممكنة في ذاتها أو مستحيلة، وهذا النظر يتطلب منا معرفة تامة بطبيعة الظواهر الاجتماعية.

خامساً: يجب دراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية.

أولاً: يجب الاعتماد على الملاحظة المباشرة وما تؤدى إليه التجربة.

نستطيع بالملاحظة وبما نشاهده التعرف على العالم بصورة يقينية إلى حد ما. وقد رفض ابن خلدون الأقيسة المنطقية لأنها لا تتفق مع طبيعة الأشياء المحسوسة، التي لا يمكن معرفتها إلا بالملاحظة. ويعتبر أن ما يزعمه البعض عن إمكان الوصول إلى الحقيقة بمجرد استعمال قوانين المنطق هو وهم كاذب. فالمنطق لا ينتج معرفة بل يرسم طريق التفكير، وهنا تكمن أهميته. لكن التجربة هي الأساس.

ثانياً: يجب تفسير الظواهر وتحليلها واستخدام منطق التعليل.

لهذه القاعدة أهمية كبيرة في الكشف عن القانون العلمي. فالتعليل قانون عقلي استخدمه المفكرون في جميع العصور وفي مباحث عديدة. وقد سجل ابن خلدون بهذا انتصاراً علمياً حيث كان من أوائل المفكرين الذين أدخلوا هذه القاعدة على الظواهر الاجتماعية، وهو بذلك وضع أسس المنهج الوضعي في الدراسات الاجتماعية.

ثالثاً: يجب الاعتماد على منطق المقارنة أو منهج البحث المقارن.

لقد أدرك ابن خلدون قيمة هذه الوسيلة من خلال الأسفار التي قام بها، ورحلاته الطويلة التي أدرك بها سر تباين المجتمعات وتشابهها. فقد أرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية، ولذلك عرض بإسهاب أثرها في أخلاقية

hadeel alnafea

الشعوب وطباعهم وأحوالهم الاقتصادية، ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل. ومما يدل على اهتمامه بالمنهج المقارن أنه كتب فصلاً كاملاً عن عوامل التباين في المجتمعات، ودرسها دراسة علمية وصفية تحليلية.

وفيما يخص القاعدة الرابعة والخامسة ، يريد ابن خلدون أن يقول أن دراسة المجتمع تولد عند الإنسان الاستعداد لإدراك القوانين الضرورية التي تحكم الظواهر.

والحق أن ابن خلدون أصاب الحقيقة في تقريره للقاعدة الأخيرة:

لأن دراسة تطور الظواهر تعتبر أهم أركان المنهج التاريخي.

وقرره في عبارة شهيرة:

"إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال..."

من أهم خواص ظواهر الاجتماع الإنساني:

أنها لا تدوم على حال واحد ومنهاج واحد، فهي متغيرة، وتختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور

وهذا ما فطن إليه ابن خلدون، وجعله أساساً لبحوثه في علم الاجتماع.

رابعاً: الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

استفاد ابن خلدون من دراسة التاريخ الإسلامي ومن دراسته للشعوب الشرقية والوقوف على أسباب نشأتها وازدهارها ثم اضمحلالها وقيام دولة على أنقاض دولة أخرى.

ولذلك يقول ابن خلدون:

واستفاد ابن خلدون من كل هذه الأمور باستخلاصه قانوناً أساسيا يحكم حركة المجتمعات الإنسانية: وهو قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني

فكل مجتمع لابد أن يسير في الطريق الطبيعي:

1- الطور أو مرحلة النشأة والتكوين.

2- ثم طور النضج والاكتمال.

3- وأخيراً طور الهرم والشيخوخة.

حيث يقوم على أنقاضه مجتمع آخر يسير في المراحل نفسها التي سار فيها المجتمع السابق.

فالحركة الاجتماعية في نظره مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل آلي، فهي لا تنقطع، والمجتمعات الإنسانية لا تقف، والموت الاجتماعي أو فناء نظم المجتمع هو نقطة نهاية وبداية، فحيث ينتهي مجتمع ما، لا بد أن يستأنف السير مجتمع آخر، والمجتمعات الإنسانية ولو أنها تخضع حتماً لهذه الأدوار المتتابعة، غير أنها تختلف في مدى احتمالها لمرحلة دون الأخرى. أي أن القانون يختلف في شدته ودرجته باختلاف المجتمعات الإنسانية ، فمنها ما يبقى مدة طويلة في دور النضج، ومنها ما يصير إلى الشيخوخة ومنها ما يموت يافعاً.

hadeel alnafea

ودرس ابن خلدون خصائص كل مرحلة من هذه المراحل.

- فدرس ظاهرة العصبية بوصفها المجتمع القبلي
- ثم درس العوامل الديناميكية التي تؤدي بالمجتمع القبلي إلى التطور وهي العصبية والفضيلة والدعوة الدينية
- ودرس دعائم المجتمع المتحضر من حيث الانفراد بالمجد والسلطان

<u>وانتهى إلى تقرير حقيقة هامة وهي:</u>

(أن الهِرمْ إذا تنزل بدولة فإنه لا يرتفع) أي أن الإصلاح الاجتماعي لا يجدي قليلا متى شاخت الدولة وهرمت وأصيبت بانهيار روحي وخراب مادي.

ودرس ظاهرة التقدم الاجتماعي وقرر في هذا الصدد أن المراحل التطورية السابقة مصحوبة بتقدم ملحوظ في أحوال المعيشة وفي مستحدثات النظم والحياة الاجتماعية. غير أن هذا التقدم مآله إلى الجمود ثم النكوص عندما يتطرق الفساد إلى قلب الدولة. وشرح العوامل التي تساعد على زيادة سرعة التقدم ، ومنها العوامل المورفولوجية والبيئية وعدد السكان وعدالة الحكومة واستطالة سلطان الدولة.

ولهذا قرر أن هناك علاقة وثيقة بين عمر الحضارة وعمر الدولة. فقرر أن الحضارة تحدث آثاراً سيئة في الجسم والعقل وفي أخلاق الناس، لأنها تؤدي إلى الترف . وهذا بدوره يؤدي إلى السكان والدعة.

وهذه الظاهرة تؤدي إلى الخمول وضعف الوعي القومي.

فالتقدم الحضاري بالرغم من كونه دليلا على مدى ما وصل إليه المجتمع من الرقي يحمل معه كما يحمل الرقي السياسي وأسباب الاضمحلال وعوامل الفناء ، وقد بلغ به التشاؤم إلى حد أنه قرر أن الحضارة نهاية العمران وبها يتم فساده.

دراساته السياسية

بدأ ابن خلدون بحوثه السياسية: بتحليل وجود النظام السياسي، وتعليل قيام الحكومة تعليلا عقليا اجتماعيا.

ويقسم ابن خلدون النظام السياسي إلى شكلين:

- المجتمعات التي تسير على سياسة عقلية
- المجتمعات التي تكون محكومة بسياسة دينية

والسياسة العقلية في نظره هي النظام الذى يقرره فلاسفة الدولة أو التشريع الذى يرتضيه عقلاؤها

والسياسة الدينية هي الذى يفرضه نبي من الأنبياء موحى إليه من الله سبحانه وتعالى والسياسة الدينية في نظره أفضل من الأولى.

وتكلم ابن خلدون عن الدولة والدعائم التي تقوم عليها. وهذه الدعائم في نظره أربعة:

- العصبية
- والفضيلة
- ووجود دعوة دينية أو مبدأ سياسي
- ثم ضعف دولة سابقة حتى يتاح قيام دولة أخرى على أنقاضها وشرح عامل من هذه العوامل بالتفصيل.

hadeel alnafea

ومتى تكونت الدولة فلابد لها من سياسة تنظم أمرها، ولابد من ملك يحكمها.... والملكية في نظره وظيفة طبيعية شريفة في مطلبها ولها خواص جوهرية تنزع إليها وتسعى وراءها ويلخصها ابن خلدون في ثلاثة الانفراد بالمجد والسلطان ثم النزوع إلى الترف وأخيرا السكون والدعة لأن الملك قد وصل إلى غاية الغايات.

مراحل تطور الدولة

والدولة كحقيقة اجتماعية تخضع للتطور، وقد صور ابن خلدون مراحل تطور الدولة قائلا : أن الدولة تنتقل في أطوار وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا جديدا وهذه الأطوار لا تعدو في الغالب ما يأتي:-

- طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السابقة والعمل على تدعيمه.
- طور الاستبداد والانفراد بالسلطة والتنكر لأهل العصبية القاهرة والالتجاء إلى اتخاذ الموالي وجنود الارتزاق.
- طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما ينزع إليه طبائع البشر من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت.
- طور القناعة والمسالمة ويكون صاحب الدولة قانعا بما ورثه عن آبائه ويكتفي باقتفاء آثارهم وسيرتهم.

أخيراً: طور الإسراف والتبذير

ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلافا مبذرا خاضعا لنزواته وشهواته وسرعان ما تصاب الدولة بالهرم الذى يؤذن بانحلالها وفنائها لأن الهرم إذا نزل بدولة فإنه لا يرتفع.

عمر الدولة ومراحل المجتمع السياسي

ولمس ابن خلدون وهو يدرس الدولة نقطة طريفة حقا وهى تحديد عمرها وقد حدده بمائة وعشرين سنة لأن المجتمع السياسي في نظره يمر بثلاثة مراحل وهي : الطفولة والشباب والشيخوخة وكل مرحلة تمثل في نظره جيلا ، والجيل في عرفه لا يعدو أربعين سنة ، وفى هذا الصدد يقول أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين سنة والذي يعبر عن انتهاء النمو والوصول إلى غايته ، وفى ضوء هذا التقدير تعمر الدولة مائة وعشرون سنة.

ومن الطبيعي أن يدرس ابن خلدون وهو العالم المسلم ظاهرة الخلافة الإسلامية وهي ابرز الظواهر السياسية التي ظهرت على مسرح الحياة الاجتماعية وبدون الدخول في تفاصيل نشأة هذه الظاهرة بعد وفاة الرسول وتطورها وتطور وظائفها السياسية والدينية.

ويتكلم ابن خلدون في شرط الخلافة وهي في نظره أربعة:

- العلم
- والعدالة
- والكفاية
- وسلامة الحواس والأعضاء ، مما يؤثر في الرأي والعمل.

ودرس ابن خلدون ظاهرة الحرب واعتبرها أمرا طبيعيا في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل وأصلها إرادة انتقام البشر من بعض وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة وغما عدوان وغما غضب لله ولدينه وإما غضب للملك وسعى في تمهيده.

hadeel almatea

وقدم ابن خلدون صفحات رائعة في دراسته لظاهرة الظلم الاجتماعي وفى هذا الصدد يقول "أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم" وهو مؤذن بخراب العمران ويستعجل عمر الدولة قبل الأوان.

دراساته الاجتماعية الأخرى

درس ابن خلدون الظواهر الاقتصادية ، واعتبر الضرورة الاقتصادية دعامة من دعائم نشأة المجتمع وشرح وجود الكسب الطبيعي وغير الطبيعي:

فالزراعة والصناعة والتجارة وجوه طبيعية لكسب الرزق

وأما الإمارة والخدمة والاشتغال بالسحر والشعوذة فهي وجوه غير مشروعة للكسب أو للارتزاق

ومع ذلك وفق ابن خلدون إلى تقرير عدة قواعد اقتصادية هامة منها:

- أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وأن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها
- وأن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طالبوها.

الظواهر الأخلاقية في المجتمع

درس ابن خلدون الظواهر الأخلاقية في المجتمع واستأثرت هذه الناحية بمزيد عنايته ، وأوضح أثرها في مبلغ تقدم المجتمع وفي مدى مقاومته لظواهر الهدم ، وقدم لنا ابن خلدون ناحية هامة من نواحي البحث الأخلاقي وهي دراسة أخلاق الملوك والأمراء وقدم لهم في هذا الصدد وصايا ونصائح تعتبر نتيجة مباشرة لتجاربه الشخصية وثمرة من ثمرات حياته العملية وظروفه الخاصة التي اضطرته أن يخدم معظم ملوك عصره.

وفضلا عن ذلك وجه ابن خلدون مزيد عنايته إلى دراسة الناحية التربوية ودرسها كما يدرس علم الاجتماع وشرح اثر الحضارة في العلوم والمعارف ووضع في هذا الصدد قواعد تربوية.

وجميع قوانين ابن خلدون وأفكاره التي اشرنا إليها مستمدة من ملاحظاته لظواهر الاجتماع التي شاهدها أو عرف تاريخها بدون أن يستوحى مبدأ فلسفيا أو يتأثر بأفكار سابقة.

خامساً: نقد آراء ابن خلدون.

كانت نظريات ابن خلدون فيما يتعلق بالدعائم التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية هدفا لانتقادات كثيرة من جانب علماء الغرب:

فادعوا أن فكرته عن المجتمع لم تكن واضحة كل الوضوح، ووصفوه بأنه من أنصار المدرسة الحيوية، وأنه اعتمد في دراسته لظواهر المجتمع على دراسة الفرد، وأنه أرجع معظم العوامل المؤثرة في ظواهر الاجتماع إلى عوامل بيولوجية. فأساءوا فهم آرائه وخرجوا بها عن القصد وأخذوا بعض معانيه على ظاهرها بدون تحقيق او تمحيص.

ومثال لذلك قوله "المجتمع يولد كما يولد الفرد ويمر كما يمر الكائن الحي في ادوار الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة".

فالمجتمع جسم مركب والنظم الموجودة فيه هي بمثابة أعضاء هذا الجسم

ويعيب كثير من المفكرين على ابن خلدون أنه لم يلتزم في تعليلاته القواعد المنهجية التي اشرنا إليها فيما سبق وأنه وقع أسيرا لتأثير الدين والسحر والرقي والتمائم ، ورأى هؤلاء النقاد أنه كان من الواجب أن ترتفع ذهنية ابن خلدون عن التسليم بهذه الأساليب الشعبية الدارجة.

بيد أن ما يوجه من نقد برئ إلى ابن خلدون هو أنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية ولم يسر في تطبيقها إلى النهاية

فالخطأ الذى وقع فيه ابن خلدون يرجع إلى نقص كبير في استقراء الظواهر. فهو لم يستقرئ الظواهر إلا عند أمم معينة وفي عصور خاصة

وانتهي من هذا الاستقراء الناقص إلى أفكار وقوانين ظن أنها تصدق في كل مجتمع وفى كل زمان، بل بالعكس يدلل على روحه العلمية وأحكامه التقريرية واتجاهه الوضعي.

وإذا تركنا هذه الانتقادات الجزئية لا يسعنا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو أول مفكر انشأ علم الاجتماع وأقام دعائمه ورسم منهجه وعين موضوعه وأبوابه ودرس ظواهره.

غير أن بحوثه التي اشرنا إليها لم تنل ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار والمتابعة والمثابرة ، فلم يترك من بعده تلاميذ ومريدين أبرارا يحملون رسالته ولذلك أبخله التاريخ حقه إلى حين حتى قام بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر بترجمة مقدمته والتعليق عليها ومن ثم ارتفع ابن خلدون في النقد المعاصر إلى مصاف علماء الاجتماع واعتبر بحق أول منشئ للعلم.

إن ثروة الأمم بكثرة سكانها المحبين للعمل ، والمجيدين له ، المبدعين فيه .،، "ابن خلدون"

انتهى مبحث ابن خلدون.

hadeel alnafea

المحاضرة السابعة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند اليونان – أرسطو

عناصر المحاضرة

- نظرياته

- الرق
- الحكومات
- المدينة الفاضلة
- نشأة المجتمع السياسي ومقوماته
- الأسرة
- التربية

أهداف المحاضرة:

التعرف على نظريات أرسطو الاجتماعية ومناقشتها وتحليلها

(أرسطو 384 – 322 ق.م)

- أرسطو أو أرسطوطاليس Ἀριστοτέλης
- مفكر وفيلسوف يوناني قديم، وهو من تلاميذ أفلاطون، اشتهر بلقب «المعلم الأول». كتب في مواضيع متعددة، شملت جميع العلوم.
- وفي عام 367 ق.م. رحل أرسطو إلى أثينا للالتحاق بمعهد أفلاطون، كطالب في البداية، وكمدرس فيما بعد.
- كتب أرسطو بطريقة منظمة في الفلسفة الاجتماعية. وقد قامت آراؤه الاجتماعية على أصول فلسفته، وانسجمت معها.
- تتصف آراءه بأنها أقل اندفاعا وتهورا من آراء أفلاطون، حيث كان أكثر عقلانية من أفلاطون، وأكثر تلمسا للحياة الواقعية وأشد اعتمادا على التجربة النظرية في بحوثه الاجتماعية.
- لم يلجأ أرسطو إلى الخيال كما فعل أفلاطون، بل استخدم المنهج العقلي.

يعتبر كتاب أرسطو «السياسة» المرجع الأساسي للوقوف على نظرياته في شؤون السياسة والاجتماع، اتبع به أرسطو المنهج التحليلي التاريخي.

لم يخلق دولة صناعية -خيالية- كما فعل أستاذه أفلاطون في «الجمهورية». بل درس الدولة من حيث هي في الوجود الطبيعي، واستنبط آراؤه السياسية والاجتماعية من النظم وأشكال الحكم القائمة، معتمدا على حقائق التاريخ ومشاهداته كأساس لبحوثه.

أهم النظريات الاجتماعية التي عالجها أرسطو

- نشأة المجتمع السياسي ومقوماته. - التربية. - الرق.

- الحكومات الصالحة وقيام الثورات. - قيام مجتمع فاضل. – الأسرة.

hadeel alnafea

أين وجدت نظريات أرسطو الاجتماعية؟

كتاب السياسة

- نظرية الرق
- نظرية نشأة المجتمع
- نظرية قيام مجتمع فاضل
- نظرية قيام الثورات

<u>أولاً: الدعائم التي يقوم عليها الاجتماع السياسي.</u>

<u>ما هي أهم الموضوعات التي تحدث عنها أرسطو؟</u>

من أول الموضوعات التي تناولها أرسطو بالدراسة، هو موضوع تكوين الجماعات السياسية ويقصد بها الجماعات الاجتماعية.

وتعتبر الأسرة أول خلية اجتماعية. فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى، باعتبارها أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة البشرية، بمعنى أن هناك حاجة أولية تتطلب اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر.

الأسرة

القرية

القرى

الدولة\المدينة

- الأسرة هي الوسط الصحيح الذي تتحقق فيه الحياة الاجتماعية، ووظيفتها إشباع الحاجات اليومية.
- وينشأ عن اجتماع عدة أسر متجاورة القرية، ويسميها أرسطو «المستعمرة الطبيعية للأسرة»، لتنوع وظائفها، والتي يشكل مجموعها الدولة (أو المدينة)، الدولة إذن هي أكمل الوحدات الاجتماعية وتتوافر فيها فرصة الاكتفاء الذاتي.
- الدولة إذن من خلق الطبيعة وإنتاجها، ووظيفتها تحقيق سعادة الأفراد، تلك السعادة التي لا تتحقق بدون الدولة.

ويركز أرسطو على الفرد باعتباره كائنا سياسيا ومدنيا بطبيعته. أي أن الإنسان لا يمكن له العيش بعزلة ولا يمكن فصله عن الحياة الاجتماعية.

فقد وهبته الطبيعة صفة النطق واللغة للتعبير عن الخير والشر وهو بذلك بحاجة للعيش ضمن الجماعة كي يعبر عن نفسه.

وهذا الميل الذي يشعر به الفرد نحو الاجتماع مع الآخرين تدفع إليه الطبيعة.

أرسطو يرى إذن أن الطبيعة هي التي تدفع الناس بصفة غريزية إلى الاجتماع السياسي وهذا الاجتماع لابد وأن يقوم على القانون وتحقيق العدالة.

hadeel alnafea

لكن ما الذي ينظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض؟

يجيب أرسطو بأن الإنسان يحتاج إلى قوانين لتنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض.

- القانون: هو قاعدة الاجتماع السياسي.
- العدالة: من الضرورات الاجتماعية.
- الأحكام العادلة: هي التي تشكل القوانين.

وينتهي أرسطو إلى أن الفرد وإن كان الحقيقة الأولى في البناء الاجتماعي، إلا أنه يذهب في المجتمع وتتلاشى شخصيته في شخصية المجتمع. ذلك أن الدولة هي لحمة النسيج والأفراد خيوطه، على اعتبار أن الدولة هي التي تحقق للفرد وجوده.

ماذا يقصد أرسطو بقوله ان تماسك الدولة عضوي لا ميكانيكي؟

• يرى أرسطو أن تراكم الأسر أو القرى لتكوين المدن في الدولة ليس تراكم ا عدديا ، بل هو تلاحم في جسد واحد أي مثل تآلف أعضاء الجسم، لا يمكن فصل الأعضاء عن بعضها، إنه تماسك عضوي لا ميكانيكي.

•علاقة الفرد بالدولة إذن هي علاقة عضوية، ولذلك فإن سلامة أفراد المجتمع هو سلامة للدولة.

الفرد يتميز بشخصيتين

- شخصية جمعية يتكون بها في المجتمع
- شخصية فردية يتكون بها في نفسه

وفى ضوء هذه الاعتبارات يقرر أرسطو أن الدولة نمو طبيعي للقرية، والقرية نمو طبيعي للأسرة، والدولة ليست مجموعة من الأفراد فقط ، ولكنها مجموعة من الوحدات تكون وحدة عضوية ترتبط أجزاؤها وتتضافر لتضمن استقرار المجتمع ودوامه.

ماهي وظيفة الدولة برأي أرسطو؟

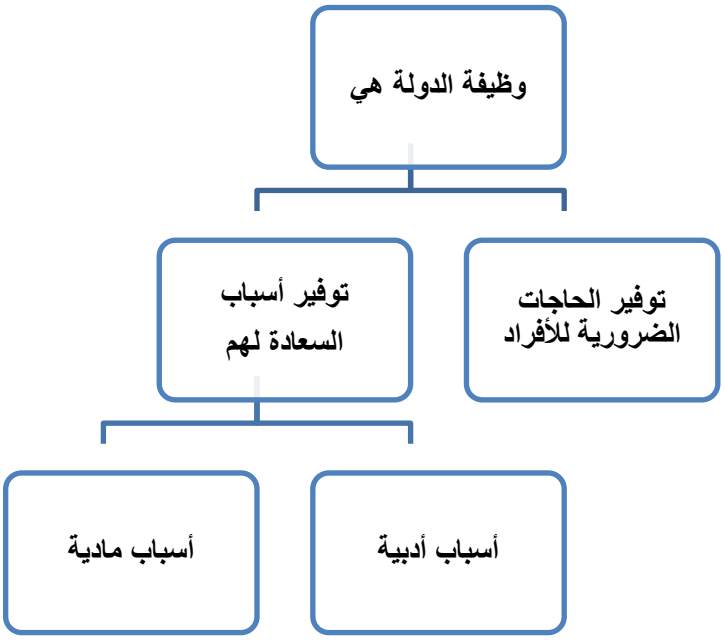

hadeel alnajea

أسباب أدبية

- الاعتناء بنظم التربية والتعليم والثقافة العامة
- توفير الاستقرار والأمن بالداخل والخارج

•يربط أرسطو الأسباب المادية بمبحث آخر هو في صميم العلم الاقتصادي، وهو: «**علم الثروات**»

وذلك لأن الأسرة في حاجة ماسة إلى تحصيل الثروة لإشباع حاجاتها الضرورية، والإنفاق على مطالبها. وهذا التحصيل للثروة يتم بطريقتين هما:

- تحصيل الثروة بشكل طبيعي والتي تتمثل في (الزراعة - الصيد – تربية الحيوان – الطيور)
- تحصيل الثروة بشكل غير طبيعي (التجارة والصناعة وقرض الأموال)

والجدير بالذكر هو تطرأ أرسطو بدراساته المعمقة لدراسة ظواهر اقتصادية متعددة هي من صميم علم الاجتماع الاقتصادي، **مثل**: الإنتاج - الاستبدال – التوزيع الاستهلاك ومعايير تقويم الأشياء - نظم النقد وأشكاله ووظيفته.

ثانياً: أرائه في الأسرة.

يعتبر أرسطو الأسرة هي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة تلقائيا.

وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والأولاد والأرقاء (العبيد)، وهذا هو النمط الاجتماعي السائد في عصره، ويعرف هذا النمط باسم: «نمط الأسرة الأبوية الكبيرة»

وقد كان سائداً في بلاد اليونان والرومان وعرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة.

وتختلف عناصر الأسرة في مراكزها الاجتماعية فقد خلقت الطبيعة بعض الكائنات للسيطرة والسيادة وبعضها للخضوع والطاعة. فالكائن المزود بالعقل يحكم ويأمر بوصفه سيدا، والكائن المزود بالقوة العضلية ينفذ الأوامر. ويضع أرسطو الرجل على رأس الأسرة فهو سيدها ورئيسها والمدبر لكل شؤونها، أما المرأة فتليه في كل هذه الوظائف ويأتي ترتيبها بعده لأنها أقل عقلا وذكاءً.

ينتقد أرسطو أستاذه أفلاطون في تأييده للمساواة بين الجنسين وذلك لأنهما مختلفان جوهرياً. ويرى أرسطو أن وظيفة المرأة تشمل تربية الأولاد والعناية بشئون المنزل، ويرى الأولاد أنهم ثمرة السعادة الزوجية، أما الأرقاء أو الرقيق فهم أدوات حية تستعين بهم الأسرة للقيام بالأعمال الصعبة

كيف نظر أرسطو للمرأة؟

إن وظيفة المرأة عند أرسطو هي العناية بتربية الأبناء، وبالجوانب المنزلية، تحت إشراف وتوجيه وسيادة الرجل.

لكن لها حق إبداء الرأي وللرجل حق البت والحكم بعد تقليب النظر، وعليه تكون الأسرة كمملكة صغيرة يتربع الرجل على عرشها.

المرأة والأسرة بين أفلاطون وأرسطو (مقارنة)	
أفلاطون	أرسطو
• تأكيد المساواة الطبيعية بين الرجل والمرأة • القضاء على الأسرة	• المساواة بين الرجل والمرأة غير واقعية • تمجيد الأسرة

nadeel anafea

ويعلل أرسطو هذا التفاضل في المراكز الاجتماعية لعناصر الأسرة بربطها بعوامل وراثية وبيئية واجتماعية

ويرى ارسطو أن للرجل ثلاثة مظاهر للسلطة هي:

1. سلطة السيد: التي يمارسها على الرقيق ويمثلها بالسلطة الدكتاتورية
2. سلطة الأب: التي يمارسها على أبنائه وأبناء عشيرته ويمثلها بالسلطة الملكية
3. سلطة الزوج: التي يمارسها على زوجاته ويمثلها بالسلطة الجمهورية

كما يرى أرسطو أن دور الفرد الاجتماعي والأخلاقي يتحدد تبعا لإرادته. وبما أن:

للرجل كامل السيادة والإرادة، فدوره يتعين بزرع الفضائل في أفراد أسرته: لأن إرادة المرأة بدرجة أدنى ؛ والولد ليس له إلا إرادة ناقصة ؛ والعبد مجرد من الإرادة

فإذا صلحت الأسرة صلحت المدينة ، فالفرد الفاضل يكون في أسرة فاضلة والأسرة الفاضلة تكون في مجتمع فاضل،

ويعتبر أرسطو الزواج من أقوى دعائم التضامن بين وحدات المجتمع **لذلك فهو**:

- ينصح بنظام وحدانية الزوج والزوجة
- ويكره التعدد كما يكره الطلاق
- كما يحدد أرسطو السن الأنسب للزواج ما بين سن الـ18 للنساء وسن 37 للرجال
- عند وصول الرجل إلى سن الخمسين ينبغي أن يتوقف عن انجاب الأولاد حتى لا ينجب أطفال ضعيفة

وحول رعاية الأطفال

يقدم أرسطو نصائح للأمهات الحوامل كي يلتزمن باتباعها: مثل أن

1- يخففن من الغذاء 2- ويقمن بأعمال خفيفة،

3- ويعملن على إرضاع أطفالهن منذ الولادة، وتعويدهم على احتمال البرد.

4- كما يشدد على تنشئة الأطفال وتربيتهم على العادات الطيبة منذ الولادة.

لقد كان أرسطو من أنصار تحديد النسل وبالغ في دعوته لدرجة أنه أباح الإجهاض.

وفي ضوء آراء أرسطو في دراسته لشؤون الأسرة نجد أن كان له الفضل في التأسيس لما يعرف اليوم

بـ : «علم الاجتماع العائلي»

تماما كما وضع دعائم علم الاجتماع السياسي والاقتصادي

لقد عالج قضايا المجتمع بذهنية موضوعية وتحليلية وعقلية، فكان تارة يتحدث بأسلوب عالم الاجتماع، وتارة أخرى بأسلوب المصلح الاجتماعي.

ثالثاً: آرائه في التربية

التربية من الموضوعات الرئيسة التي عالجها أرسطو إكمالا لمبحثه في المجتمع.

hadeel alatea

فحيثما يكون نظام التربية مهملا تصاب الدولة بالانحلال، وكما نادى ارسطو بضرورة توحيد نظام التربية بين جميع الطبقات، ولابد أن يحظى الجميع على التربية المشتركة التي تضعه الدولة وتشرف عليه لتحقيق التضامن ووحدة الأهداف والآمال.

قسم أرسطو مراحل التربية وفقا لمراحل نمو الطفل:

1. المرحلة الأولى: التكوين الجسماني والبيولوجي.
2. المرحلة الثانية: نشأة القوة النزوعية والغضبية.
3. المرحلة الثالثة: نشأة النفس الناطقة.

يرى أرسطو أن لكل مرحلة من المراحل المشار إليها نظاما تربويا تتفق مع طبيعتها وقدرتها ولذا يقسم التربية إلى ثلاثة أقسام هي:

- التربية البدنية وتتمثل في تنمية الطفل جسمانيا وبدنياً.
- التربية الاخلاقية هي تربية الطفل على الفضيلة والأخلاق الجيدة وتعلمه قواعد اللغة والآداب والفنون.
- التربية العقلية تتمثل في اكساب الطفل العلوم والفلسفة.

يرى ارسطو أن التربية المنزلية منذ الولادة حتى 7 سنوات ثم تتولى الدولة تربية المواطنين من خلال مرحلتين:

1. المرحلة الأولى: من سن السابعة حتى سن البلوغ.
2. المرحلة الثانية: من البلوغ حتى سن الـ21.

وقد وضع أرسطو بعض الضوابط الاجتماعية لأصول التربية في المرحلتين الأساسيتين من التربية :

بأن نادى :

1) بضرورة تطبيق نظام مفتشي الأطفال الذين يتولون الإشراف على نظام التربية في نطاق توجيه أولياء الأمور وتقديم الوصايا والنصائح فيما يتعلق بمشكلات الطفولة الصحية والأخلاقية.
2) وكما لفت الأنظار إلى خطورة اختلاط الأطفال بالعبيد وأطفال السوء.
3) ونهى عن رؤية الصور المنافية للآداب.
4) أشار أرسطو عن شغل أوقات الفراغ.
5) وقال أن راحة الجسم والعقل ضرورية بعد العمل والتعب.

أما الموضوعات الأساسية التي تتناولها التربية في المرحلة الأولى [من السابعة إلى سن البلوغ] فهي أربعة:

الآداب

- ✓ وتشمل القراءة والكتابة والنحو
- ✓ والتربية الرياضية
- ✓ والموسيقى
- ✓ والرسم

ثم تخصص ثلاث سنوات للدراسات والعلوم التي تتفق مع النضج العقلي الذي وصل إليه الشبان

hadeel ahmed

رابعاً: نظريته في الرق

كان أرسطو يعتقد أن الأسرة في اليونان تتكون من الرجل والمرأة والأبناء والرق، فالبيت يقوم على أربع أركان (أب، أم، أبناء، الرق) وبالتالي هو ركن ثابت، فالرق موجود بالحضارات والأمم والثقافات والأديان.

الرق ضروري داخل المجتمع والبيت ، فهو نظام اجتماعي وله وظيفة اجتماعية داخل المجتمع اليوناني.

كيف قسم أرسطو المجتمع؟

- ❖ الأرقاء: وهم من غير اليونانيين أي البربر خلقهم الله جسما دون عقل لا يتمتع الرق بأي حقوق مدنية ، فهم كالآلات الحية، إنهم أدوات الأسرة خُلقوا من اجل خدمة الأحرار.
- ❖ الأحرار: وهم اليونانيون خلقهم الله و زودهم بالجسم والعقل يتمتعون بكافة الحقوق لهم الحق بشن الحرب بهدف استرقاء الشعوب الأخرى.

أرسطو كمفكر اجتماعي لم يخطئ في تقريره في نظام الرق لأنه مهمته كعالم اجتماع أن يدرس ويحلل النظم الاجتماعية ووظائفها ولذا تناول نظام الرق كنظام اجتماعي ضروري في جميع المجتمعات القديمة.

خامساً: آرائه في الحكومة الصالحة وقيام الثورات

فرق أرسطو بين الدولة والحكومة ، فالدولة في نظره هي مجموع المواطنين أما الحكومة هي التي تنظم شئون الدولة وتتولى الإشراف على الوظائف.

وتختلف الحكومة باختلاف أهدافها [الغاية] ونعنى بالغاية الحكومة صالحة أم فاسدة ، أما بالنسبة لا اختلاف عدد الحكام فيعني أن تكون الحكومة بيد فرد أو بعض الأفراد أو أيدى عامة.

وينتج عن الجمع بين المبدأين «الغاية وعدد الحكام» ستة أشكال لنظام الحكم، ثلاثة صالحة ويقابلها على الترتيب ثلاثة فاسدة وهم:

أشكال الحكومة الصالحة

- أولا: الحكومة الملكية (المونارشية) وهي حكومة الفرد العادل
- ثانيا: الحكومة الأرستقراطية هي حكومة الأقلية العادلة الفاضلة
- ثالثا: الحكومة الديمقراطية هي حكومة العامة وتمتاز بالحرية والمساواة

ويرى أرسطو أن أفضل الحكومات هي الملكية ويليها الأرستقراطية ثم حكومة الديمقراطية

أشكال الحكومات الفاسدة

الحكومات الفاسدة هي الحكومات السابقة عندما يتطرق إليها الفساد: فتصبح

- الأولى: استبدادية أوتوقراطية -الطغيان
- والثانية: أوليغاركية
- والثالثة: حكومة غير ديمقراطية. – الديماغوغية

ما السبيل لاختيار نظام صالح؟

يرى أرسطو أن الطبقة الدستورية التي تتألف من أصحاب الثروة هي أفضل للحكم

فهم لا يملكون فراغ ا طويلا من الجدل والمناقشات ولا يضيعون الوقت إلا في العمل المنتج، وهم أخيار المواطنين الذين يتحملوا أعباء الحكم وفقا للدستور الذى شرعوه عقلاء وحكماء المجتمع.

نظرياته في الثروات

يرى أرسطو أن ظاهرة الثورات ترجع إلى أسباب عميقة في طبيعة التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة ومن هذه الأسباب:

1) سوء استغلال المبدأ الذي تقوم عليه الحكومة والإفراط في استخدامه وحتى تتجنب الدولة الاضطرابات السياسية فيجب أن تقلل من التطبيقات التعسفية لنظام حكمها
2) النمو غير المتناسب لبعض الطبقات في المدينة تؤدي إلى قيام الثورات
3) اختلاف الأصول والأنساب الناتج عن إقامة الأجانب في الدولة أدى إلى قيام الثورات
4) العامل المورفولوجي (الجغرافي) أو الوضع التخطيطي للمدينة
5) الحسد الاجتماعي كالطمع في الوصول إلى السيادة السياسية أو الثروة يؤدي إلى ظهور الثورات.

سادسا: نظريته في المدينة الفاضلة

يرى أرسطو أن المدينة هي أرقي صور الحياة السياسية ، كما يرى أن المدينة الفاضلة هي التي يستطيع فيها كل مواطن أن يحصل على السعادة ويضع شروطا يجب توافرها في قيام المدينة الفاضلة كما يلي:-

أولاً: لابد أن تكون مساحة المدينة متناسبة مع حاجة المواطنين. بحيث توفر لهم الحياة الميسورة. وأن تقسم أراضي المدينة بين المواطنين بحيث يكون لكل مواطن مساحتين من الأراضي: أرض في الداخل وأرض بالخارج ليكون لديه دوافع للدفاع عن المدينة.

ثانياً: التكوين المورفولوجي للمدينة ويجب أن تكون ذات تربة خصبة

وأن تكون لها تحصينات منيعة على الأعداء سهلة على المخارج على سكانها.

ثالثاً: يجب أن لا يتجاوز عدد السكان مئة ألف نسمة. حتى يتم العيش برخاء ورفاهية وتقدم فكري، وسهولة بالحكم، وانتشار النظام، وتوزيع المناصب. لابد من التوافق بين العدد والسعة، فلن يتحقق خير الدولة إلا إذا كان عدد مواطنيها مناسبا لمساحتها ورقعتها.

وإذا تجاوز عدد السكان هذا العدد فمن الضروري اتخاذ إجراءات تعسفية لاستبقاء العدد في المستوى المطلوب ومن هذه الإجراءات:

- الإجهاض
- إعدام ناقصي التكوين وفاسدي الأخلاق وهم المعوقين ، أصحاب العاهات يجب أن يعدموا ما داموا في المهد.
- تحريم الزواج على الشيوخ والعجزة وكل من يبلغ الخمسين من عمره.

رابعاً: أن يكون للدولة نظام طبقي يتكون من:

- القائمون بتوفير المواد الغذائية من التجار والصناع
- رجال الفن
- رجال الحرب
- طبقة الأغنياء التي تمد الدولة بالمال لتنفيذ المشروعات وإعداد الجيوش

hadeel alnafea

- رجال الدين
- الحكام ورجال القضاء والموظفون ويشرفون على تنظيم الجهاز الإداري، ولهؤلاء مع رجال الجيش الحق في صفة المواطن، الذي يشترك في الحكم والإدارة ووضع القوانين وسياسة المدينة.

خامساً وأخيراً: ضرورة وضع نظام تربوياً لتقديم النصائح والتوصيات للحصول على المواطن الحر وتعليمه الفضائل الأخلاقية والدينية.

الخاتمة

وأخيرا يمكن القول أن دراسات أرسطو كانت قائمة على الوصف والشرح والتحليل والمقارنة.

لقد تناول موضوع علم الاجتماع ومناهجه وأسس الدراسة فيه دون أن يسميها بدقة موضوعا لعلم الاجتماع، وبهذا يرجع الفضل إليه في التبشير بعلم الاجتماع.

وهكذا نشأت في اليونان تلك الآراء الاجتماعية التي بلغت أوجها عند الفيلسوفين أفلاطون وأرسطو.

hadeel alnatea

إنّنا ما نقوم به مراراً وتكراراً.

التميز إذاً هو ليس فعل نقوم به ؛ وإنما هو عادة.

أرسطو

من يهزم رغباته أشجع ممن يهزم أعداءه ؛ لأنه أصعب انتصار هو الانتصار على الذات لـِ "أرسطو"

المحاضرة الثامنة بعنوان

المدارس الفلسفية الممهدة لظهور علم الاجتماع

عناصر المحاضرة:

الفلسفة السياسية:

- نظريات التعاقد الاجتماعي (توماس هوبز- جون لوك- جاك روسو)
- فلسفة القانون (مونتسكيو)

أولاً: نظريات التعاقد الاجتماعي

في نهاية القرن السادس عشر أخذت الدول القومية في النشأة والتكوين. وأخذت النظرية القومية تحل محل نظرية الامبراطورية. وأخذت نظرية التوازن بين الدول المتعددة تحل محل نظرية التركيز أو التوحيد السياسي.

لقد أعطت هذه الظواهر السياسية الفرصة لظهور الملكيات القوية التي أصبحت مصدراً للسلطة والتشريع، غير أن بعض هذه الملكيات جنح إلى الاستبداد ، بينما ظل البعض الآخر يمارس حكماً مستنيراً؛ فكان من الطبيعي أن تقوم مساجلات سياسية حول منشأ السلطة في المجتمع.

ومن ثم ظهرت النظريات التي تناقش فلسفة الدولة:

في نشأتها وفي وظيفتها وفي حقوقها والتزاماتها قبل الدول الأخرى. وكان من الطبيعي أن يدرس الفلاسفة السياسيون أصل الاجتماع الإنساني وتطوره وغاياته كمقدمة لدراسة فلسفة الدولة.

يتردد مصطلح العقد الاجتماعي على امتداد تاريخ أدبيات الفكر الإنساني منذ القدم وفي عدّة مجالات مختلفة منه، ابتداءً من ظهوره في فلسفات (سقراط وأفلاطون 400 ق.م)، ومن ثمّ دراسته وبلورته بشكل "نظرية علمية" على يد بعض علماء الاجتماع أمثال (توماس هوبز 1588 – 1679 م) ، (جون لوك 1632 – 1704 م) و(جان جاك روسو 1712 – 1778 م) لتظهر في ما بعد ذلك انعكاساته كرمز محرّك لأحداث سياسية غيرت مجرى التاريخ مثل (الثورة الفرنسية 1789 م).

وكانت أولى النظريات الاجتماعية ظهوراً في هذا الميدان هي:

نظريات «التعاقد الاجتماعي» التي حمل لواءها الفيلسوفان الإنجليزيان «توماس هوبز» و «جون لوك» ثم بعد ذلك الفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو».

توماس هوبز: (1588 – 1679)

يعد توماس هوبز أحد أكبر مفكري القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني.

إضافة لاشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، كان هوبز فقيهاً قانونياً، ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقي.

كما عرف بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورا كبيرا ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي.

hadeel alnafea

واشتهر اليوم بكتابه في الفلسفة السياسية ، الذي وضع الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي.

- أشهر مؤلفاته: كتاب «العقد الاجتماعي»

في محاولة لدراسة نشوء المجتمعات الإنسانية، انطلق هوبز من السؤال التالي: لماذا يجب علينا أن نخضع للسلطة؟

وللإجابة على هذا السؤال، قام هوبز بوضع نفسه في مرحلة (ما قبل المجتمع) الافتراضية ومن ثمّ قارن بينها وبين الحالة (المجتمعية)، ليستنتج بعدها الأسباب التي دعت لنشوء تلك المجتمعات والمكاسب التي تحققت منها.

وجد هوبز أنّ الإنسان في مرحلة ما قبل المجتمع الحالة الأصلية تركز اهتمامه في "المصلحة الذاتية"، ومع وجود مصادر محدودة وغياب سلطة تجبر الأفراد على التعاون، استنتج أن الحياة في مثل هذه البيئة ستكون (صعبة التحمل) وقاسية جدا، بحيث يخشى كلّ فرد على حياته من الآخر، ولا يستطيع أحدهم ضمان تلبية حاجاته ورغباته لمدّة زمنية طويلة.

وعليه استنتج أن مرحلة (ما قبل المجتمع) الهمجية، تحوي أسوأ ظروف يمكن أن يعيشها الإنسان، مما يطرح وبقوة ضرورة تكون التجمعات البشرية والقوانين التي تحكمها.

رأى هوبز أن الطريق للخروج من الحالة السابقة يتم عبر الاتفاق على العيش تحت (قوانين مشتركة) والاتفاق على إيجاد (آلية لفرض القوانين) عن طريق سلطة حاكمة، ويرى هوبز بضرورة وجود "سلطة مطلقة" وإن ظهرت لديها انحرافات بسبب (غلبة العاطفة على المنطق) ولكنه تقبل ذلك، معللاً رأيه بأن (السّلطة هي الشيء الوحيد الذي يقف بيننا وبين العودة للهمجية).

كان هوبز نصيراً للملكية المستبدة فوضع فلسفته الاجتماعية في خدمة هذا النظام ومحاولة تبريره.

وكان مادي النزعة ، أنانياً، يعتبر الذات أو «الأنا» هي المحور الذي تدور حوله كافة الاعتبارات المتعلقة بالسياسة والاقتصاد وشؤون الاجتماع.

بمعنى أن هوبز يعتبر الفرد دعامة التشريع، والمصلحة الفردية هي الغاية من النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وهذا ما يذهب إليه بصدد تفسير جميع النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية. فإن هذه النظم تنتهي في آخر تحليلها إلى عوامل أنانية تعود على الفرد باللذة وتبعده عن الألم.

وفي ضوء هذه الاعتبارات، يرى هوبز أن أساس التعامل الاجتماعي هو الخوف المشترك بين الأفراد على مصالحهم الذاتية، لأن الأنانية والفردية هي الوازع الذي يدفع الإنسان إلى تحصيل أكثر ما يمكن تحصيله من الماديات.

وهذه حالة يخشى منها على بقاء المجتمع ودوام استقراره لأنه سيقع بين براثن الأنانية تتقاذفه من كل جانب.

وهذه هي حالة الفطرة التي مرت بها الإنسانية الأولى؛ كان الإنسان فيها ذئباً لأخيه الإنسان ويعتدي فيها القوي على الضعيف وينكل به.

ولما كان الأفراد لا يعرفون حدوداً لشهواتهم أصبحت حالة الفطرة هذه نزاعاً دائماً وحرباً مستمرة، وهي حالة لا تعرف العدل والظلم ولا تعرف الحق والواجب، وأهم خصائصها الشهوة والخديعة والقوة.

nadeel almatea

غير أن حالة كهذه من شأنها أن تتعارض مع مبدأ حب البقاء ولا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. ولما كان كل واحد حريصاً على تحقيق مصالحه الخاصة تولدت لدى الجميع ضرورة التعاقد والاتفاق على المصالح المشتركة وعدم التنافس، إلا في الحدود المطلوبة.

فلولا خوف الناس لما ظهرت فكرة التعاقد الاجتماعي التي كانت أحسن وسيلة من وسائل استقرار الحياة.

فالخوف هو إذن أساس التعاقد، والخضوع للعقد مرده خوف الناس بعضهم من بعض، والخوف المشترك هو أيضاً أساس القيام بالواجبات والالتزامات وتأدية الحقوق المفروضة.

فالإنسانية إذن لم تخرج من حالة الفطرة والفوضى ولم تنتقل إلى الحياة المدنية إلا عن طريق التعاقد، الذي بمقتضاه تنازل الأفراد (فرادى أو جماعات) عن جميع حقوقهم وصون أرواحهم وحفظ كيانهم.

وبذلك أصبح هذا الشخص هو الرئيس الأعلى للجماعة المنظمة وهو صاحب السيادة وكلمته هي القانون، وهو ما اصطلح الناس على تسميته بـ «الملك» فسلطة الملك إذن مشتقة من اتفاق رعاياه في أول الأمر. ووظيفته أن يرأس حكومة تسهر على تحقيق خير المواطنين الذين تعاقدوا معه، والعمل على توازن الميول الذاتية مع الميول الغيرية.

ولما كان هذا الشخص لا يمثل طرفاً في التعاقد فإنه يفعل ما يشاء دون حساب، وله أن يحكم حكماً مطلقاً، ولا يمكن للأفراد أن يسلبوه سلطته ما داموا قد منحوه إياها في بادئ الأمر.

ويعتبر الفرد الثائر على هذه السلطة المطلقة عاملاً على انحلال الجماعة ومتبرماً بالعقد وناكصاً للعهد الذي قطعه على نفسه.

ومن ثم فللجماعة الحق في أن تقصيه وتبتره. وهذه الفكرة تنطوي على معنى خطير وهو إنكار حق الفرد في المقاومة أو الثورة ولو كان الحاكم مستبداً.

<u>وخلاصة القول فيما ذهب إليه هوبز هو أن:</u>

الدولة أو المجتمع السياسي عبارة عن تكوين صناعي بمقتضى تعاقد إرادي لجأ إليه الأفراد رغبة منهم في الأمن والسلام وحب البقاء.

لم ينشأ هذا التعاقد تلقائياً ولكنه نشأ عن قصد وروية.

والنظم التي يصطلح عليها المجتمع عبارة عن مجموعة من القوانين تقررها الحكومة ويلتزم الأفراد بطاعتها لسبب واحد وهو أنها تحقق أنانية الفرد.

فالخير والشر الاجتماعي يمكن تعريفهما في مذهبه بأن الخير ما يجلب اللذة، والشر ما يجلب الألم.

وهما في نفس الوقت أمران تحددهما الحكومة.

والطاعة لهذه الحكومة المطلقة واجبة لأن أوامرها هي المستوى أو المعيار الذي يقاس به خير الناس وشرهم.

<u>تقييم آراء توماس هوبز: (1588 – 1679)</u>

لقد كان هوبز مناصرًا للملكية المطلقة ، ولكنه قام أيضًا بتطوير بعض أساسيات الفكر الليبرالي :الأوروبي: حق الفرد والمساواة الطبيعية بين جميع البشر والشخصية الاعتبارية للنظام السياسي (التي أدت لاحقًا إلى التمييز بين المجتمع

المدني والدولة)؛ وهو أيضًا صاحب رأي أن جميع القوى السياسية الشرعية يجب أن تكون "ممثلة" وقائمة على قبول الشعب؛ والتفسير الحر للقانون الذي يمنح الناس حرية فعل ما لم ينص القانون على تجريمه صراحةً.

لقد كان توماس هوبز أحد مؤسسي فلسفة السياسة الحديثة. ولقد ظل فهمه للبشر باعتبارهم مادة وحركة تنفذ نفس القوانين المادية مثل أية مادة وحركة أخرى ذات تأثير كبير؛ ويظل اعتباره للطبيعة البشرية باعتبارها تعاوناً مركزه الذات وللمجتمعات السياسية باعتبارها قائمة على "العقد الاجتماعي" أحد أهم الموضوعات في الفلسفة السياسية.

جون لوك (1632 – 1704 م)

جون لوك هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. وطبيباً ووزيراً للعدل.

لعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية العظيمة التي وقعت في إنجلترا ما بين سنة 1660 وسنة 1680.

كتب لوك في عام1667 مقالاً خاصاً عن «التسامح»، ومقالتين سياسيتين نشرتا في عام 1669 بعنوان "مقالتان عن الحكومة". وهاجر لوك إلى هولندا عام 1683 وهناك كتب لوك وضع مؤلفات أهمها: رسالة في الفهم الإنساني.

كان لجون لوك دور كبير في الثورة الأمريكية إذ أن كتابه:

"رسالتان في الحكم" كان محط إعجاب الأمريكيين وكانت من ضمن آرائه في الكتاب أن الوظيفة العليا للدولة هي حماية الثروة والحرية.

- أشهر مؤلفاته كتاب: - «رسالة في الفهم الإنساني» - «رسالة في التسامح»

جاء جون لوك بعد هوبز، وحدث في زمانه أن قام البرلمان الإنجليزي بثورته المعروفة عام 1668م فوضع «لوك» نظريته في التعاقد الاجتماعي.

وفيها ينتقد «لوك» مزاعم «هوبز» ويحاول أن يبرر الثورة السياسية التي تهدف إلى إقامة الحكم الديمقراطي. ومن ثم كان كتابه عن «الحكومة المدنية» ضرورة سياسية لإيجاد نظرية تبرز الأمر الواقع وتشيد بفضله. وكان يتضمن دفاعاً كبيراً عن ثورة عام1668 التي أقصت أسرة ستيوارت المستبدة عن العرش الإنجليزي.

ويختلف لوك عن هوبز في نقطتين مهمتين:

1. وصف حالة الفطرة
2. صيغة التعاقد

وفيما يتعلق بحالة الفطرة فقد اعترف «لوك» بوجودها على أنها حقيقة تاريخية بيد أنه لم يصورها بالصورة القائمة التي وصفها هوبز.

وكانت هذه الحالة تجري على أصول القانون الطبيعي. فهي وإن لم تكن منظمة بالقوانين المدنية والسياسية ليست خلواً من النظام على الإطلاق لأن للإنسان حقوقاً لا يخلقها المجتمع، ولكن الفرد يحصل عليها بمجرد ميلاده في الجماعة الإنسانية.

وفي هذه الحالة، الأفراد أحرار بالطبيعة ومتساوون بالطبيعة، وعلاقة كل منهم بالآخر علاقة كائن حر بكائن حر. أي أن لوك يعترف بوجود مجتمع طبيعي عاش الأفراد في ظله منذ فجر نشأتهم، وهذا المجتمع طبيعي أسبق بالوجود من المجتمع المدني أو السياسي، ويوجد كذلك قانون طبيعي أسبق وجوداً من القانون المدني أو الوضعي.

غير أن اشتباك المصالح وتعقد مستلزمات الحياة الاجتماعية، وعدم وجود رئيس غير متحيز يطبق بدقة قواعد القانون الطبيعي، دفعهم إلى الإيمان بضرورة قيام سلطة عليا وظيفتها إقامة العدل بينهم وتنظيم حريتهم التي يتمتعون بها لا في حالة الفطرة.

ومن ثم اصطلحوا على التعاقد بمقتضى عقد اجتماعي على حصر السلطة في شخص واحد أو بضعة أشخاص يمثلون المجتمع كله. ويجب أن ينص في الميثاق على أن هذا الشخص طرف في التعاقد لكي يلتزم باحترام نصوص العقد ويسهر على تنفيذها بدقة.

وفي مقابل ذلك يلتزم له الأفراد بالطاعة، والعقد لا يدوم إلا بدوام محافظة كل من الطرفين على تنفيذ تعهداته والوفاء بالتزاماته. وإذا قصر أحد الطرفين في التنفيذ أصبح الطرف الآخر في حل من التزاماته. وذلك على عكس ما ذهب إليه هوبز.

تقييم آراء جون لوك

استخدم لوك نفس المنهجية السابقة لهوبز، إلاّ أنه اختلف معه في كون الحالة الأصلية State of Nature مع انعدام القوانين فيها فأنها تحتوى على أسس أخلاقية، وبالتالي فهي (ممكنة التحمّل) ولها أمثلة واقعية، وليست" افتراضية "كما هو الحال عند هوبز.

كما اختلف لوك مع هوبز في معارضته لمبدأ "السلطة المطلقة"، ورأى أنّ الفرد له حقّ مقاومة السّلطة "الغاشمة"، انطلاقا من مبدأ الدفاع عن النفس.

إنّه أسهل بالنسبة للمدرس أن يأمر من أن يعلِّم "جون لوك"

جان جاك روسو (1712 – 1778)

جان جاك روسو هو كاتب وفيلسوف ومصلح اجتماعي، يعد من أهم كتاب عصر العقل، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين.

ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

وُلد روسو في مدينة جنيف بسويسرا. وكانت أسرته من أصل فرنسي، وقد عاش في جنيف لمدة سبعين عاما تقريبا.

توفيت أمه عقب ولادته مباشرة، تاركة الطفل لينشأ في كنف والده، الذي عُرف بميله إلى الخصام والمشاجرة. اضطر والد روسو إلى الفرار من جنيف. فتولى عم الصبي مسؤولية تربيته.

- أشهر أعماله: كتاب «العقد الاجتماعي»

عارض روسو النظام الاجتماعي القائم الذي كان يشعر بالاستياء منه كثيرا، ما بين طبقة غنية تهتم بالبذخ والمظاهر والتفاخر، وطبقة كبيرة من الفقراء المعدمين، وقرر أن يمضي فيما بقي من حياته في بيان الاتجاهات الجديدة للتنمية الاجتماعية.

وخالف روسو سابقيه(هوبز ولوك)في افتراضهما كون في كون الحالة الأصلية State of Nature هي حالة مليئة بالمشاكل والظروف السيئة ,بل على العكس توقع روسو أن الناس كانوا في تلك الحالة يعيشون حالة اكتفاء ذاتي وسلام في ظلّ مبادئ أخلاقية.

يرى روسو أنّ التجمّع أتى نتيجة لعوامل اقتصادية مثل الاختراعات وتطور عوامل الإنتاج وتقسيم العمل، ممّا أنشأ قيماً "جماهيرية "جديدة ناتجة عن المقارنة مثل (الخجل والحسد والفخر..) وأهمّ هذه القيم في رأي روسو هي (الملكية الخاصة) التي نتجت عن ظهور قيم مثل(الجشع ,المنافسة ,عدم المساواة...) أخرجت البشرية من حالتها الأصلية «الطاهرة» .

وكنتيجة للملكية الخاصة انقسم الناس إلى أصحاب أملاك وإلى عمّال لديهم، مما أوجد نظام(الطبقات الاجتماعية)، أدرك أصحاب الأملاك أنّ من مصلحتهم إنشاء" حكومة" لتحمي ملكياتهم من الذين لا يمتلكونها ولكنهم يعتقدون أنهم قادرون على الاستيلاء عليها بالقوّة.

ومن ثمّ تمّ تأسيس الحكومة من خلال" عقد "ينصّ على توفير المساواة والحماية للجميع بلا استثناء، على الرغم من أن الغرض الحقيقي من إنشاء مثل هذه الحكومة هو تكريس "اللامساواة "والتي نتجت عن الملكية الخاصة، الشيء الذي يراه روسو السبب في معاناة المجتمعات الحديثة.

في الواقع أن نظريات التعاقد بلغت أقوى صورها وأدق مراحلها بفضل ما أسبغه عليها الفرنسي روسو من دقة في الصياغة وعمق في التحليل..وهذه الفكرة ملخصها : أن الحالة الطبيعية أو الاجتماع الطبيعي الذي نشأ في ظله الإنسان الأول كان أسعد حياة ، وأن التطور والتقدم هو الذي أفسد طبائع الأفراد وسبب شقاؤهم وأقام بينهم الفروق وأدى بهم إلى عدم التساوي، مع أن الطبيعة خلقتهم أحرارا.

وأول ظاهرة أدت إلى عدم التساوي هي اكتشاف فائدة الزراعة حيث نتج عنها حيازة الأراضي والتهافت على تقسيمها، وقيام الخلافات والمشاكل حول الحدود والمساقي وموارد المياه .ومن هنا بدأ التفاوت بين الأفراد .وكلما قطعت الإنسانية مرحلة في التطور والرقي ازدادت أسباب التفاوت بين الأفراد وقوى التنافس والتنابذ بينهم.

هذا يعني أن روسو أرجع جميع مظاهر الفساد إلى لأن هذه الظاهرة تتعارض « ظاهرة الملكية » قيام مع النظام الطبيعي، وقد أحدثت هذه الصيحة هزة عنيفة في المجتمع الأوربي.

ولكن إذا كان الإنسان سعيداً في حالته الطبيعية الأولى، وأن مظاهر الرقي الاجتماعي هي التي سببت شقاءه:

فالسؤال:

هل من الممكن القضاء على الحضارة وفض الاجتماع الإنساني المنظم والعودة إلى النظام الاجتماعي الأول؟؟؟

يقول روسو: «إن الاجتماع أصبح ضرورياً ولا يمكن بحال القضاء على ما استحدثه الاجتماع الإنساني من ضروب الحضارة والتمدين. وكل ما يمكن عمله هو إصلاح عيوبه والقضاء على مفاسده، وهذا غير ممكن إلا بالتنظيم السياسي وإقامة الحكم الصالح ».

وقد وجد الأفراد أن أفضل وسيلة تتيح لهم إصلاح هذه الحالة الفاسدة هي أن:

يتعاقدوا بمقتضى ميثاق اجتماعي .بحيث ينزل كل فرد عن جزء من حقوقه الشخصية للمجموع (لا لشخص معين أو بضعة أشخاص).

ووظيفة هذا التعاقد هي حماية مصالح المتعاقدين بواسطة القوة الجمعية فتتحقق بذلك المساواة بين الجميع وتصبح إرادة المجموع نافذة ,وبمعنى آخر تصبح الأمة كلها هي صاحبة السيادة والسلطان ,ويتخذ كل فرد لقب مواطن نظير اشتراكه في السلطة.

هذه هي أشهر نظريات التعاقد الاجتماعي .وهي جميعاً تتفق في بحث حقيقتين مهمتين:

الحقيقة الأولى مؤداها وجود حالة فطرية سابقة على الوجود أو التنظيم الاجتماعي.

والحقيقة الثانية مؤداها اتفاق الأفراد على تعاقد اجتماعي قصدوا إليه عن إرادة وروية ,وذلك للخروج من حالة الفطرة السابقة إلى حالة التنظيم السياسي والاجتماعي.

غير أن القائلين بهذه النظريات اختلفوا في وصف حالة الفطرة ، واختلفوا أيضاً في صيغة التعاقد ومحاولة تبريره.

واختلفوا كذلك في طبيعة التعاقد وحقيقته .فذهب بعضهم إلى أنه حدث تاريخياً وتحقق في واقع الأمر «هوبز ومدرسته» وذهب البعض الآخر «روسو ومدرسته» إلى أنه حالة افتراضية لا بد من تصورها لتبرير قيام المجتمع السياسي.

هذه النظريات لا تتفق مع طبيعة الحقائق الاجتماعية للأسباب الآتية:

1. من الخطأ البالغ التسليم بصحة ما يقوله أصحاب هذه النظريات من أن الاجتماع الإنساني وما ينطوي عليه من نظم سياسية ودينية وأخلاقية هو نتيجة عقد إرادي .وذلك لأن الحياة الاجتماعية نشأت تلقائياً والتنظيم السياسي قديم قدم هذه الحياة .فالقول أن الإنسان كان يعيش عيشة فطرية منعزلة بوقت ما وأنه تعاقد مع الآخرين لتنظيم الحياة هو قول فاسد ومغالط.

فالإنسان كائن اجتماعي منذ الولادة وهذا ما أكده أيضاً أرسطو بأن الطبيعة البشرية هي التي تدفع الإنسان تلقائياً نح الاجتماع السياسي.. وعليه فالدولة ليست مركباً صناعياً من عمل الأفراد وإرادتهم، بل هي من عمل الطبيعة وثمرة من ثمار التطور التاريخي، وبدأت تلقائياً.

2. إن منطق أصحاب التعاقد يشير إلى أن مستقبل الاجتماع الإنساني متعلق بمشيئة أفراده، وأنه مهدد بالنكوص إلى الوراء في أي وقت شاء له الأفراد ذلك.

وهذه أفكار فطرية ساذجة، لأن الاجتماع الإنساني نشأ تلقائياً ولم يقم على أساس فكرة التعاقد أو الاتفاق.

3. إن قيام التعاقد يتطلب بصفة أساسية قيام المساواة وتحققها أولاً.

فكيف يمكن تصور هذه المساواة في حالة الحرب والفوضى ومنطق القوة، التي يصف بها مفكري التعاقد الحالة الفطرية!!

4. لا يمكن تصور حدوث التعاقد الاجتماعي إلا إذا كان الاجتماع الإنساني قد وصل إلى حالة عقلية وثقافية يستطيع الأفراد بفضلها أن يدركوا معاني النظام والحق والواجب والإلزام والتعاقد وما إلى ذلك من التصورات القانونية والفلسفية التي تدل عل فهم الأمور والحقائق .وهذا تصور لا يستقيم مع وصف أنصار التعاقد للمجتمع من أنه في حالة فوضى وأنانية ونزعات بهيمية.
5. فكرة التعاقد في ذاتها هي فكرة غير صحيحة منطقياً، لأن فكرة العقد الملزم لا توجد إلا حيث توجد سلطة لها شخصية قانونية أو على الأقل لا توجد إلا في هيئة اجتماعية لها نوع من الإلزام الأخلاقي على أفرادها. بحيث تنظمهم وتفرض عليهم الرقابة وتعمل على صيانة العقود. فكيف يمكن للتعاقد أن يكون سبباً في نشأة هذه السلطة !!!
6. إن نظريات التعاقد الاجتماعي ليس لها سند تاريخي، ولس لدينا من الأدلة المادية والوثائق التاريخية ما يثبت قيام مثل هذا التعاقد.

وعليه يمكن القول أن نظريات التعاقد الاجتماعي لا تستطيع تفسير نشأة أصل الاجتماع الإنساني وقيام السلطة السياسية تفسيراً يطمئن له الباحثون. فقد ثبت لنا أنها عبارة عن تصورات خيالية وآراء شخصية تقوم على افتراضات تعوزها الأدلة المادية والتاريخية.

ومهما يكن من شأنها فقد خدمت البحث الاجتماعي خدمة كبيرة لأنها خلصت الأفكار الاجتماعية من أي تفسيرات وآراء دينية ذهب إليها مفكرو العصور الوسطى بصدد تفسير شئون المجتمع.فقدمت هذه النظريات أصولاً مهمة في ميدان البحث الاجتماعي والسياسي، من حيث تمهيدها للمقومات الضرورية للمذهب الفردي الذي يعتمد على الفرد كدعامة للتشريع الاقتصادي والسياسي .فكانت أساساً لمعظم النظريات والمذاهب السياسية السائدة كنظرية السيادة المطلقة ونظرية الاستبداد المستنير والنظرية الديمقراطية.

"الناس الذين يعرفون القليل يتحدثون كثيراً ، أما الذين يعرفون الكثير لا يتحدثون إلا قليلاً"

"أعطني قليلاً من الشرفاء وأنا أحطم لك جيشاً من اللصوص المفسدين والعملاء"

جان جاك روسو

فلسفة القانون: مونتسكيو (1689 – 1755)

شارل لوي دي سيكوندا الشهير باسم مونتسكيو هو فيلسوف ومفكر سياسي فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا. ولد مونسكيو في جنوب غرب فرنسا بالقرب من مدينة بوردو حيث تعلّم الحقوق وأصبح عضو برلمان عام 1714.

عندما نقول فلسفة القانون يتحول التيار الفكري إلى بحوث العلامة الفرنسي منتسكيو، فهو الذي حمل لواء هذا الفكر ، ونظر إلى القانون بوصفه ضرورة تنشأ من طبيعة الاجتماع الإنساني.وبهذا قدم مونتسكيو للدراسات الاجتماعيه إسهاماً كبيراً تجلى في «الاجتماع التشريعي والقضائي».

- وكان من أهم أعماله كتابه الشهير: «روح القوانين»

كان مونتسكيو واقعياً في بحوثه ودراساته. لم يقتنع بالبحوث الخيالية والآراء التي أثارها سابقيه من أصحاب نظريات التعاقد الاجتماعي، فاتجه إلى دراسة شئون الاجتماع والظواهر السياسية بمنهج وصفي- تحليلي متجرداً من الأفكار الخيالية التي تفتقر إلى الأدلة.

لجأ مونتسكيو إلى دراسة القوانين الوضعية القائمة وأشكال الحكومات الموجودة ومظاهر السلطات التي تباشر عملها . فكان يصف ويقارن ويحلل ويستنتج الحقائق من طبائع الأشياء .وكان يرمي من وراء ذلك إلى هدفين أساسيين:

- أولهما :وضع نظم مقارنة تتفق مع الحاجات السياسية لمختلف المجتمعات.
- ثانيهما :وضع نظريات سياسية وقانونية مقارنة مستخلصة من نتائج دراساته وملاحظاته وتحليله للنظم الموجودة فعلاً.

وكانت بحوثه تدور حول فكرة اعتنقها وهي أن المشرع الذي يضع القوانين لا يعمل وفق إرادته وبمقتضى غرضه ولكنه محكوم بأمور خارجة عن ذاته هي التي تحدد طبيعة القوانين الموضوعة.

ويرجع مونتسكيو هذه العوامل إلى ثلاث طوائف وهي:

1. طائفة تتعلق بنظم الحكم وأشكال الحكومات التي تشرع القوانين في ظلها
2. طائفة تتعلق بالبيئة والموقع الجغرافي والمناخ ومساحة الدولة وعدد سكانها
3. طائفة تتعلق بالظواهر الاجتماعية السائدة كالدين والعادات والتقاليد وطرق العيش والتركيب الطبقي والثراء.

والكشف عن أثر هذه العوامل في القوانين الوضعية وعلاقتها به هم ما يسميه مونتسكيو بـ «روح القوانين». وعليه فقد قرر أن الغاية منها هي تنظيم علاقات الأفراد في الاجتماع الإنساني وحملهم على ما ينبغي أن يكون عليه الأمر في معاملاتهم الاجتماعية .لأنهم أحرار بطبيعتهم فلو تركوا وشأنهم لصدرت عنهم أعمال وتصرفات تتعارض مع حريتهم ومع مصالحهم الخاصة وتتعارض كذلك مع ما ينبغي أن تكون عليه الحياة الاجتماعية .فالقوانين ضرورية لتهذيب الاستعدادات الطبيعية المغروسة في الفطر الإنسانية.

كما درس مونتسكيو طائفة من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالبيئة والموقع الجغرافي، وقدم بحوثاً بالسكان والمورفولوجيا الاجتماعية وغالى في تقدير الفروق والآثار التي تترتب على هذه الأمور ومبلغ تأثيرها في النظم الاجتماعية بشكل يؤخذ عليه.

درس أيضاً ظاهرة الحرب من الناحية الاجتماعية ورغم أنه اعتبرها –على العكس من هوبز- حالة طبيعية تنشأ بين الدول، إلا أنه استنكرها واعتبرها ظاهرة غير سوية.. لأن الحرب كالاسترقاق هدر لكرامة الفرد وحريته. ويقرر مونتسكيو نوعين من الحروب ، ما كان منها بقصد الدفاع عن حق مسلوب، وما كان منها بقصد تنفيذ معاهدة قانونية بين دولتين. ويستنكر أنواع الحروب الأخرى.

كما درس مونتسكيو ظاهرة «المسئولية والجزاء» وأدان الإفراط في استخدام الشدة في الأحكام الجنائية التي من شأنها أن تنمي وتبعث الظلم بدلاً من التقليل من الجرائم. مشيراً إلى الدول الأوربية التي تقل بها العقوبات وحدة التشريعات الجنائية والجزاءات كلما تمتعت بالحريات.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن مونتسكيو درس ببحوثه المتنوعة قضايا تتعلق بالأخلاق والدين والاقتصاد تناول فيها نظم النقد والضرائب والسكان وغيرها دراسة تاريخية وصفية تحليلية معتمداً على الملاحظة والخبرة والمقارنة.

وخلصه من الصبغة « روح القوانين » ولو أحسن مونتسكيو ترتيب كتابه السياسية الغالبة عليه، لكان أول بحث منظم في الفلسفة الاجتماعية.

- وختاماً يمكن القول أن مونتسكيو رجع في تأليفه لكتاب روح القوانين إلى جانب مشاهداته ومحاوراته مع عدد لا يحصى من المفكرين إلى عدد ضخم من المؤلفات نخص بالذكر من بينها:-
  - كتابي الجمهورية والقوانين لأفلاطون.
  - السياسة لأرسطو.
  - الأمير لمكيافلي.
  - كتاب المدينة الفاضلة(يوتوبيا)لتوماس مور.
  - عن المواطن لهوبز.
  - بحث عن الحكومة والمدنية للوك.